التربية الخلقية والاجتماعية
في المدرسة
للأستاذ فخري أبو السعود

أدخلت الاصلاحات والتغييرات العديدة على أنظمة مدارسنا، ولكنها كانت دائماً تدور حول طرق تدريس العلوم ومناهجها، ولم تتجه إلى الناحية الخلقية — كما أشار اليه صاحب المعالي وزير المعارف في تقريره عن التعليم الثانوي — والحقيقة التي لا شبهة فيها أن مدارسنا لا تهتم بغير المواد الدراسية ولا تعمل شيئاً في سبيل تربية أخلاق الطلاب

بل الحقيقة التي يعترف بها الخبير المنصف أن مدارسنا كانت بنظُمها سبباً في نشر الفوضى الخلقية بين الشبان: لقبولها الطلاب من جميع الطبقات، ووضعها أبناء الطبقات المحترمة بجانب أبناء الطبقة الوضيعة في المدرسة الواحدة بلا تمييز؛ وقد دلّت المشاهدات على أن الطالب المهذب يكتسب أخلاق زميله الوضيع التربية ولا يحدُث العكس؛ وقد زاد هذا البلاء استفحالاً في السنين الأخيرة باقبال الطبقة السفلى على تعليم أبنائها لتأهيلهم للوظائف واكتظاظ المدارس بطلابها

مع أن بانجلترا — على عراقتها في الحرية والديمقراطية — مدارس لاتقبل إلا أبناء الطبقات المحترمة التي تستطيع دفع المصروفات العالية، فيظل أبناؤها بمنجى من مخالطة أبناء السوقة، ذلك بأن الحرية والديمقراطية يجب ألا تتعارضا مع الأمر الواقع، أو تتجاهلا وجود الطبقات المتفاوتة

* * *

لا تعمل مدارسنا شيئاً لتهذيب أخلاق أبنائها مع أننا أحوج من غيرنا إلى التربية الخلقية في مدارسنا: إذ لا يجد ناشئتُنا هذه التربية غالباً في بيئة غير بيئة المدرسة: فلا في البيت ولا في الشارع ولا في المجتمع: فالتربية المنزلية عندنا ناقصة، ومعظم الآباء لا يوجهون إلى تربية أبنائهم من وقتهم وعنايتهم ما يجب، وهم ينقادون لحنانهم الأبوي فيسمحون لأبنائهم بكل ما يريدون وإن عارَضَ مصلحتهم وجنى على تنشئتهم؛ وطبقة العامة التي يصادفها الناشئ في غدواته وروحاته فاسدة تعم فيها رذائل الكذب والغش والفحة وجرأة اللسان مما لامثيل له في بلد راق؛ والحجاب الذي فرضته التقاليد على المرأة يحرم المجتمع من اختلاط الجنسين وهو عامل كبير في تهذيب الخلق وترقيق الطبع وتنمية الذوق وتربية الرجولة الصحيحة

ومصر التي جرّبت في مراكز الحكم زُمراً من أبنائها لا يشك أحد في عظيم ذكائهم وكبير مواهبهم وواسع تعليمهم وثقافتهم، ومع ذلك كانوا عليها سوط عذاب وبثوا فيها فساد الأخلاق، مصر هذه يجب أن تتنبه إلى النقص الجسيم في نظم تربيتها، وأن تعرف جيداً قلة جدوى التعليم بدون التربية الخلقية الصحيحة التي تقوّم الطباع وتبعث الاستقامة وتشعر الفرد بمسؤوليته أمام ضميره وواجبه نحو مجتمعه ووطنه

* * *

فمدارسنا اليوم تجعل واجبها الأول التربية العقلية، على حين يجب أن تكون التربية الخلقية أول مراميها، وأن يأتي تزويد الناشئ بالعلوم بعد ذلك في المحل الثاني: فتختلف برامج التعليم زيادة ونقصاً وتعديلاً كما تدعو الحاجة أو تشير التجارب. ووظيفة المدرسة الخلقية هي هي في مكانها الأول، وهي هي الغرض الأسمى من كل تربية وفي كل معهد، وهي عدة الناشئ وكفيله بالنجاح في حياته مهما زادت معلوماته أو نقصت أو تنوعت

ومن المسائل المفروغ منها بين المشتغلين بالتربية والتعليم أن التربية الخلقية لا تأتي بالتلقين ولا تكون باستظهار فوائد الفضائل ومضار الرذائل، وإنما العامل الأكبر في تشكيل أخلاق الناشئ وتوجيهها إما إلى الحسنى وإما الى الخسران، هو الوسط الذي يعيش فيه، والناس الذين يخالطهم في ذلك الوسط، والأعمال التي يزاولها فيه كل يوم؛ فأخلاقنا تنمو نمواً غير مقصود ولا متعمد ولا سيما في عهد نشأتنا، وتتشكل بالمحاكاة والاقتداء ومسايرة الغير، فالطفل الناشئ في وسط راق ينشأ فاضلاً دون أن تُلقى اليه كلمة واحدة في مزايا الفضيلة، والناشئ في بيئة مسمومة يشب دنيئاً مهما أُسمع من عظات الحكماء، ووُضع بين يديه من كتب الفضلاء

فاذا هيأنا في المدرسة للناشئ جواً نقياً صالحاً نمت أخلاقه نقية صالحة دون بذل جهد ما متى جانبه أو من جانب المدرس أو

إدارة المدرسة ؛ ولكن جو مدارسنا ليس من النقاء والصلاح بحيث يُنشئ الطلاب تلك النشأة ، ومهما فَرَضَ المدرس وإدارة المدرسة بعد ذلك من أنظمة وقواعد وعقوبات فعبثٌ ليس وراءه طائل

فقد تقدَّم كيف يختلط في المدرسة ابن الأسرة الطيبة بابن الأسرة الوضيعة فتَسُود الفوضى الخلقية الجو المدرسي ، ثم إن ازدحام ساعات المدرسة بالمواد الدراسية يحول دون توثق الحياة الاجتماعية المدرسية ، ويجعل الطلاب في حالة من الارهاق والملال تحفزهم إلى التمرد والاخلال بالنظام وإساءة السلك كلما لاحت لهم فرصة لذلك ، وكل المواد الدراسية تتطلب منهم إجهاد عقولهم وتقييد أبدانهم ، فتنوء عقولهم بالمجهود المتواصل العقيم ، وتضيق أبدانهم بالتقييد ، ويتجمع نشاطهم الجثماني المكبوح الذي لا يجد متَصَرَّفاً في وجهة الخير فينصرف إلى ضروب الفساد والعبث بالنظام ومشاكسة الغير والتفكير في أنواع الاثم أو اللهو الفارغ

* * *

ومن هذا تتضح الوسائل التي يجب أن تتذرع بها مدارسنا لتربي أخلاق أبنائها ؛ وهي : تنقية الجو المدرسي ، ووضع التربية البدنية في مكانها الذي هي جديرة به بجانب التربية العقلية ، وتوثيق عرى الحياة الاجتماعية في المدرسة :

(١) فيجب أن تُراعى طبقة الطالب الاجتماعية قبل أن يُقبل بالمدرسة ، وأن يكون لهذا شأن في توزيع الطلاب على المدارس بل على الفصول ، وتخصيص مدارس في البلدان المختلفة لأبناء الطبقات الممتازة والأسر الطيبة . وليس هذا بدعاً : ففضلاً عن وجود هذا التفريق في انجلترا كما سبق قد كان بمصر ذاتها شيء منه فيما مضى : إذ كانت بعض المدارس كالخديوية والسعيدية تكاد تختص بأبناء الأسر الراقية ، ولكن المدارس التي كانت لها هذه المزية قد فقدتها أخيراً ، وصار بعض المصريين يحجم عن إلحاق الأبناء بالمدارس المصرية مخافة أن يختلطوا بمن لا تحسُن مخالطتهم ويفقدُوا ما شبوا عليه في بيوتهم من طيب العادات والأخلاق

(٢) وأن تختصر برامج التعليم اختصاراً كبيراً وتقلَّل ساعاتها في اليوم المدرسيّ ، ويخصص جانب كبير من الوقت للألعاب الرياضية التي يجب أن يمارسها جميع الطلاب في كل يوم ، فان هذه الألعاب هي أساس كل تربية صحيحة شاملة ترمي إلى تكوين الفرد والمجتمع ، ولا نعلم أمة بلغت شأواً كبيراً من العظمة والرقي في ماض ولا حاضر إلا كان للتربية البدنية المكان الأول في تنشئة أبنائها

فرياضة البدن ضرورية لنموه وصحته ، وصاحب الجسم الصحيح أقدر على تلقي العلوم وأداء الأعمال ، ونظرته إلى الحياة نظرة تفاؤل وإقدام ورغبة في العمل وعزيمة واعتداد بالنفس ، والناشئ الذي ينمو سليم البدن ينمو كذلك سليم النفس مستقيم الطبع متجهاً إلى الخير يُؤثر من أنواع الترويح والاستجمام والسرور ضروب الألعاب الرياضية وصنوف اللهو البريء ، ولا تنحصر معظم أفكاره في مسائل الجنس ومرذول العبث كما يرجح أن تنحصر أفكار صاحب الجسم البليد الخامل

من ذلك ترى أن الألعاب الرياضية هي قوام التربية البدنية والعقلية والخلقية ، ويكفي دليلاً على فشل طرق التعليم عندنا أن الزمن المخصص في المناهج لهذا العامل الحيوي في التربية هو دون الساعة في الأسبوع ، وأن تعليم الرياضة البدنية في مدارسنا منوط بالجنود القدماء ، وأنها لا تحسب من المواد الأساسية ، وكل أولئك يزيد الطلاب استخفافاً بها

(٣) كذلك يجب أن يُصرف جانب كبير من أوقات المدرسة في الألعاب والأعمال الجمعية والحفلات لشتى المناسبات : من ابتداء العام المدرسي أو انتصافه أو انتهائه أو توزيع الجوائز أو تكريم أبناء المدرسة أو خريجيها أو زوّارها أو المحاضرات الشوقة الممتعة : ففي قيام الطلاب بتنظيم هذه الجماعات واشتراكهم فيها واهتمامهم بنجاحها خير تربية لأخلاقهم الاجتماعية ، وأحسن تدريب لهم على حسن المسلك بين الجماعة ، وأفضل تهذيب لذوقهم العام ، وهم بأشد حاجة إلى ذلك : فما يقول مطلعٌ منصف إن مسلك شبابنا المتعلمين في أغلب مجتمعاتهم مما يشرّف . فأغلبهم يعوزهم التعقل ، وحسن الذوق ، والتمييز بين مُقام ومُقام ، ومايقال هنا ويفعل ، وما لا يقال أو يفعل هناك ؛ وكثير منهم يعجزون عن استشعار الجد ومواصلة الرزانة في أمر من الأمور ، وبهم نزعة إلى الهزل لا تقاوَم ولا يكاد يطيب لهم مجتمع حتى يهبطوا به إلى قرار بعيد من التبذل والاسفاف

نعم إن بالمدارس المصرية أنواعاً من الجمعيات العلمية والعملية ،

ولكنها مقصورة على عدد محدود من الطلاب بينما يجب أن تكون شاملة للجميع ، ويُعَدُّ الالتحاق بها أمراً إضافياً على حين يجب أن يكون أساسياً ، وما دامت لا تدخل فى المنهاج ولا يمتحن فى أعمالها الطلاب المرهقون خارجها ببرنامج حافل فانها لا تجتذب إلا القليلين ، وأغلبهم ممن لا يحفلون بالمواد الدراسية وكان يجدر الجمع بين الأمرين

* * *

فتطهير الوسط المدرسيّ من أوشاب السوقة ، وإعطاء الرياضة البدنية مقامها اللائق ، وخلق الحياة الاجتماعية الجذابة بالمدرسة مكان الحياة المقفرة المنفّرة ، تهيئ المدرسة الجو النقى الصالح الذى يبعث الطالب على مكارم الأخلاق ، ويهديه إلى القدوة الحسنة ، ويسمو به إلى احترام النفس والمجتمع ، وبذلك تؤدى المدرسة واجبها الأول ، وتحقق التربية غرضها الأسمى

وهذه بعينها هى السُّنة التى درجت عليها المدارس الانجليزية من قديم ، ولا شك أن المدرسة الانجليزية تفوق غيرها من المدارس ، ولم يبلغ الانجليز ما بلغوا من العظمة بتزويد أبنائهم بمقدار من المعارف أكبر مما يناله غيرهم ، بل بالرياضة البدنية والحياة الاجتماعية المدرسية ، وهذه هى وسيلة التربية الخلقية وهى أداة الكفاح والنجاح فى الحياة للأفراد والأمم . ومن المأثور المشهور قول ولنجتون إن معركة وترلو كُسبت فى ملعب كلية إيتون ، فهو لم يقل إنها كسبت فى حجرات الدراسة أو معاملها ، بل فى الملعب حيث تخرج الرياضة البدنية جسماً سليماً وعقلاً سليماً وخلقاً قويماً وفرداً ينفع نفسه ومجتمعه

الاسكندرية — فتحى أبو السعود
المدرس بالعباسية الثانوية

الاسبرانتو Esperanto

كل القواعد — ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة نظير ٢٠ مليماً طوابع بريد مصرية أو قسيمة للمجاوبة — أطلب النشرة نمرة ٣٠

مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة ص . ب ٣٦٣ بور سعيد

هراقليوس فى المعبد

البَطَـــل *

للأستاذ معروف الأرناءوط

« أى صديقى معروف ! إنك لتغمر أشخاص عالمك الذى صغت فى هذه الرواية البارعة ، بشعاع رقيق ، يحفل بالطيوب والنحون والألوان والصور

إنك لتفيض على كل ما تكتب بركة الحياة والنور ، فالأشكال تتكلم ، والصور تغنى ، والأخيلة تنفتح عن ألوان لماحة كالطيف ، مفترة كالصباح

فهنا حياة كاملة بجميل من الناس تنبسط وتأتلق حتى تملأ الأكوان ببهتها وإشراقها

وهنا الحدائق تتدفق بأنهار كأنهار الجنة تتنهد وتغرد ، وتتلفت وترهى ، وتعبق حافاتها بخمائل الخلد وأزاهير النعيم ، ثم تذوب فى الجو الساكم الهائم أنفاساً مشبوبة بالعطر ، لاهية بالغناء طافحة بالشوق

فمن أحب أن يشعر بهناءة الفن ، ورفادة الأدب فليقرأ « عمر بن الخطاب »

ومن فاته أن يرى إلى جنائن عبقر ، وحدائق الشرق المسحورة ، ويتسمع الى حكايات الحب وأناشيد الحرب ، وينظر الى مواكب المجد وكتائب النصر فليتمسها فى هذه اللمحة الكبرى ! » أنور العطار

مَرَّ بنا « هراقليوس[1] » فى أنحاء الكنيسة بين العمد

* الفصل السادس عشر من اللمحة الدينية الكبرى : « عمر بن الخطاب » التى تطبع الآن فى دمشق ، لكبير أدباء الشام الأستاذ معروف بك الأرناءوط عضو المجمع العلمى العربى ومؤلف « سيد قريش » وصاحب « فتى العرب »

(١) « فى هذه القطعة الشاعرة وصف دقيق أخاذ « لهراقليوس العظيم » يزور منفرداً فى الليل كنيسة السيد المسيح فى بيت المقدس ، وأحراسه وجنوده ومواكبه على أبواب المعبد ينتظرون معاده ، وهو فارق يستجدى هذا المطاف المقدس العزاء لنفسه الضارعة المهدودة ، فتلتمع فى عينيه صور ماضيه الآثمة ، فتثن الأشباح وتهمس الصور وتتنفس التماثيل ، ثم يبين له موكب من مخايله يضم اليه أرجة أشباح أضناها العذاب وأذابها الهم ، أحدها رجل مشوه اسمه « تفتالى » وإلى جانبه ثلاث نساء هن « بلبزا » وابنتها الصغيرة مارية ، وبنيامينا ابنة تفتالى » وقد كن إلى جانب « تفتالى » مخبآت فى حنايا المعبد يترقبن دخول « هراقليوس »

وهنا يعرض الأستاذ الأرناءوط لهذا المشهد الرهيب فيمزج الأحياء بالأموات ، والحقيقة بالخيال ، والنقمة بالعفو

يخيل إلى « هراقليوس » أن الصور المنقوشة فى الحوائط والجدر والتماثيل المنصوبة فى الزوايا والحنى ، تتحسس وتتنفس وتتكلم ثم تمضى اليه صفوفاً متراصة تأخذ عليه السبل وتثير فيه الخوف والرعب والألم والندم ، فيغيب عنه فى عالم يسوده البكاء والهول ، ثم يغمره العفو والرحمة ! »